الفصل الثاني

مزايا دعوة الأنبياء

- الميزة الأولى : دعوتهم ربانية .
- الميزة الثانية : لا يطلبون أجرا على الرسالة .
- الميزة الثالثة : إخلاص الدين لله تعالى .
- الميزة الرابعة : البساطة وعدم التعقيد .
- الميزة الخامسة : وضوح الهدف والغاية .
- الميزة السادسة : إيثار الآخرة والزهد في الدنيا .
- الميزة السابعة : التشدد في أمور الغيبيات .
- صفات الأنبياء « الصدق ، الامانة ، التبليغ ، الفطانة ، السلامة من العيوب المنفرة ، العصمة » .

خصائص ومزايا الدعوة

ما هي مزايا دعوة الأنبياء:

أهم ما في دعوة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أن لها خصائص ومزايا نلخصها فيما يلي:

أولاً: دعوة الأنبياء (ربّانية) أي بوحي وتكليف من الله عز وجل.

ثانياً: أن الأنبياء لا يطلبون أجراً على الرسالة بل يأخذون الأجر من الله.

ثالثاً: إخلاص الدين لله سبحانه، وإفراد العبادة له جل وعلا.

رابعاً: البساطة في الدعوة، وعدم التكلف أو التعقيد.

خامساً: وضوح الهدف والغاية في دعوة الأنبياء الكرام.

سادساً: الزهد في الدنيا، وإيثار الآخرة على الحياة الدنيا.

سابعاً: التركيز على (عقيدة التوحيد) والتشديد في أمر الإيمان بالغيب.

هذه أهم مزايا دعوة الأنبياء الكرام، وسنوضح كل مزية من هذه المزايا بشيء من التوضيح والبيان، والله المستعان.

الميزة الأولى:

أولاً: أما أن دعوة الأنبياء (ربّانية) فإنما يقصد بذلك أنها بوحي وتكليف من الله عز وجل، فليست هي نابعة من نفوسهم، وليست نتيجة للعوامل الاجتماعية التي تكون في زمانهم، من ظلم وبغي وجور واستبداد.. كما أنها ليست نتيجة تفكيرهم

العميق أو تألمهم على الحالة المؤسفة التي يعيشها الناس، بل هي بوحي من الله وتكليف من الباري جل وعلا، فكل ما جاء به الأنبياء إنما مصدره الوحي، فكل نبي من الأنبياء يقول: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾.

فليس لهم إذاً إلا تبليغ أوامر الله سبحانه وتعالى.

يقول فضيلة الشيخ (أبو الحسن الندوي) حفظه الله في كتابه «النبوة والأنبياء»:

(إن أول وأهم ما يمتاز به معشر الأنبياء، أن العلم الذي ينشرونه بين الناس، والعقيدة التي يدعون إليها والدعوة التي يقومون بها، لا تنبع من ذكائهم أو حميتهم، أو تألمهم بالوضع المزري الذي يعيشون فيه، أو من شعورهم الدقيق الحساس، وقلبهم الرقيق الفياض، أو تجاربهم الواسعة الحكيمة، لا شيء من ذلك، إنما مصدره الوحي والرسالة التي يصطفون لها، ويكرمون بها.. فلا يقاسون أبداً على الحكماء أو الزعماء، أو المصلحين وجميع أصناف القادة الذين جربتهم البشرية وتاريخ الإصلاح والكفاح الطويل، والذين هم نتيجة بيئتهم وغرس حكمتهم، وصدى محيطهم ورد فعل لما كان يجيش به مجتمعهم من فساد فوضى.. والقول الفصل في ذلك القول القرآن الكريم على لسان سيد الرسل ﷺ:

﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1].

وقول الله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

---

(١) سورة يونس: الآية (١٦).

(٢) سورة الشورى: الآية (٥٢).

ويقول القرآن الكريم عن طبيعة الرسالة التي يختار لها الرسل، وعن مبدئها ومصدرها:

﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾[1].

لذلك لا يخضع الرسول لعوامل نفسية داخلية، أو حوادث وقتية خارجية ولا يدير رسالته حيث دارت الأحوال والأوضاع وشاء المجتمع، وقد قال الله عن رسوله الكريم:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[2].

ولا يستطيع أن يحدث تغييراً، أو تبديلاً، أو تحويراً، أو تعديلاً في رسالته وأحكام الله، وقد قال الله لرسوله ﷺ ملقّناً إيّاه الحجة:

﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[3].

وهذه هي السمة الفاصلة الأساسية المميزة بين الأنبياء صلوات الله عليهم وبين القادة والزعماء، الذين تكون رسالتهم وكفاحهم، وحي بيئتهم وثقافتهم ومشاعرهم، والذين يلاحظون دائماً البيئة والمجتمع، والظروف والأحوال، ويراعون المصلحة والسياسة، ويخضعون لها في كثير من الأحوال فيتنازلون عن أشياء كثيرة، وقد يتساومون مع الأحزاب، ويتبادلون معها المنافع، ومبدأ كثير منهم الذين يأخذون به: (دُرْ مَعَ الدَّهْرِ كَيْفَ دَارْ)[4].

---

(١) سورة النحل: الآية (٢).

(٢) سورة النجم: الآيتان (٣ ــ ٤).

(٣) سورة يونس: الآية (١٥).

(٤) انظر: كتاب النبوّة والأنبياء لفضيلة الشيخ الندوي ص ٣٥.

ويظهر لنا الفرق جلياً واضحاً في سيرة الأنبياء الكرام صلوات الله عليهم، حيث لا يقبلون المساومة على شيء من أمور الدعوة مهما كان الثمن بخلاف دعوة الزعماء والمصلحين.. فحين عرض المشركون عروضاً سخية على رسول الله ﷺ، وكان من جملة تلك العروض أن يملكوه عليهم، أو يزوجوه ما شاء وأحب من النساء، أو يدفعوا له كرائم أموالهم ويعطوه ما شاء من مال ومتاع، مقابل أن يترك الدعوة، ويعرض عن ذم الآلهة والسخرية بالأوثان والأصنام، ماذا كان جوابه؟ وماذا كان موقفه؟؟ لقد قال قولته الشهيرة، التي لا يزال يرددها الزمان:

«والله لو وضعوا الشمس عن يميني، والقمر عن يساري، على أن أترك هذا الأمر، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه»[١].

الميزة الثانية:

أما الميزة الثانية لدعوة الأنبياء الكرام صلوات الله عليهم، فهي أنهم لا يطلبون أجراً من أحد، ولا يقبلون على تبليغ الرسالة ثمناً من إنسان، إنما يطلبون الأجر والثواب من الله تبارك وتعالى، فكل نبي من الأنبياء كان يعلن على رؤوس الأشهاد، علانية وجهاراً أنه لا يريد أجراً على الدعوة، ويقرر بكل وضوح وجلاء أن دعوته لم تكن من أجل طلب الدنيا أو طلب المال.

واستمع إلى (هود) وهو يخاطب قومه فيقول:

﴿ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[٢].

وهذا هو خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله يقرر الحقيقة ناصعة جلية فيقول:

﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾[٣].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام.

(٢) سورة نوح: الآية (٥١).

(٣) سورة الفرقان: الآية (٥٧).

ويقول في موطن آخر من الدعوة :

﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾[1] .

وهكذا كان الرسل الكرام لا يدعون أحداً بقصد الكسب المادي ، أو الربح الدنيوي ، إنما يعلنون أنهم لا يطلبون أجرهم إلا من الله ، فهم في دعوتهم يخلصون العمل ، وفي نصحهم وإرشادهم لا يرجون الثناء أو المديح ، إنما يقصدون ثواب الآخرة ووجه الله :

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[2] .

الميزة الثالثة :

أما الميزة الثالثة لدعوة الأنبياء الكرام فهي إخلاص الدين لله سبحانه ، وإفراد العبادة له جل وعلا . . وهذا هو الهدف الأسمى الذي دعا إليه جميع الأنبياء في كل عصر وزمان ، وفي كل بيئة ومكان ، فلم يكن هدف الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم إلا أن يوجهوا المخلوق الضعيف إلى خالقه العظيم القدير ، وأن يصرفوا وجهة البشر من عبادة العباد إلى عبادة رب الأرباب جل وعلا ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾[3] .

ولقد أرسل الله جميع الرسل بهذه الدعوة الكريمة المباركة (دعوة التوحيد) وإخلاص النية والعمل له تعالى عن طريق إفراده بالعبادة ، كما قال تعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[4] .

---

(١) سورة ص : الآية (٨٦) .

(٢) سورة الكهف : الآية (١١٠) .

(٣) سورة البيّنة : الآية (٥) .

(٤) سورة الأنبياء : الآية (٢٥) .

يقول الشيخ الجليل (أحمد الدهلوي) رحمة الله في كتابه «حجة الله البالغة»:

(إن الأنبياء عليهم السلام كان أول دعوتهم، وأكبر هدفهم في كل زمان، وفي كل بيئة هو «تصحيح العقيدة» في الله تعالى، وتصحيح «الصلة بين العبد وربه» والدعوة إلى «إخلاص الدين» وإفراد العبادة لله وحده، وأنه النافع الضار، المستحق للعبادة والدعاء والالتجاء والنسك وحده.. وكانت حملتهم مركزة موجهة إلى الوثنية القائمة في عصورهم. الممثلة بصورة واضحة في عبادة الأوثان والأصنام، والصالحين والمقدسين، من الأحياء والأموات الذين كان يعتقد أهل الجاهلية أن الله قد خلع عليهم لباس الشرف والتأله، وجعلهم متصرفين في بعض الأمور الخاصة، ويقبل شفاعتهم فيهم بالإطلاق، بمنزلة ملك الملوك يبعث على كل قطر ملكاً، ويقلده تدبير المملكة)[1].

الميزة الرابعة:

أما الميزة الرابعة في دعوة الأنبياء صلوات الله عليهم فهي: البساطة في الدعوة، وعلم التكلف والتعقيد.

وهذه الميزة واضحة في دعوة جميع الأنبياء، فإنهم يسيرون مع الفطرة، ويخاطبون الناس على قدر عقولهم، ولا يتكلفون في دعوتهم كما يفعل بعض الزعماء والمصلحين ولا يُعقِّدون الأمور أو يخاطبون الناس بما لا يفهمون أو يدركون.. بل يسلكون طريق الحكمة، في الدعوة والتبليغ، فهذا سيد الرسل ﷺ يقول على لسانه القرآن:

﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾.

كما يأمره ربه بالدعوة إلى الله بالحكمة فيقول عز من قائل:

---

(١) انظر: كتاب حجة الله البالغة للدهلوي.

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[1].

ولا بد لنجاح الدعوة من سلوك طريق الأنبياء في البعد عن الأساليب الصناعية والتصنع، وعدم التكلف في دعوة الناس أو مخاطبتهم، وإقامة الحجة عليهم بالمنطق والبرهان العقلي، الذي يفهمه الكبير والصغير، والعالم والجاهل، انظر إلى (إبراهيم) عليه السلام وهو يقيم الحجة القاصمة على خصمه العنيد، ويقطع عليه الطريق بأيسر السبل وأظهر البراهين الدامغة:

﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[2].

ولهذا نجد أن أنجح طريق للدعوة هو (الأسلوب الفطري) الذي يخاطب الفطرة بعيداً عن الأساليب الصناعية، والمناهج الكلامية، والأمور العويصة وقد أجاد حجة الإسلام رحمه الله حين قال:

«أدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان، وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ويستضر به الأكثرون.. بل أدلة القرآن كالماء الذي ينتفع به الصبي والرضيع، والرجل القوي، وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الأقوياء مرة، ويمرضون بها أخرى، ولا ينتفع بها الصبيان أصلاً»[3].

وقد قال الإمام الرازي رحمه الله:

(لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً،

---

(١) سورة النحل: الآية (١٢٥).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٥٨).

(٣) راجع: كتاب «النبوة والأنبياء» للأستاذ الندوي.

ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي)[1].

الميزة الخامسة:

والميزة الخامسة في دعوة الأنبياء هي: وضوح الهدف والغاية في الدعوة، فهم يدعون الناس إلى هدف واضح، وإلى فكرة بينة، لا لبس فيها ولا غموض، استمع إلى قوله تعالى مخاطباً خاتم الأنبياء والمرسلين:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[2].

فطريقة الأنبياء واضحة، ودعوتهم ظاهرة ساطعة، مثل الشمس في رابعة النهار، ولهذا قال النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم:

«لقد تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»[3].

وهكذا نجد أن الأنبياء الكرام إنما دعوا الناس إلى رسالة ربانية، ذات هدف واضح، وغاية نبيلة، وهم في دعوتهم لا يسلكون الطرق الملتوية التي تُخفي وراءها الغرض والهدف من تلك الدعوة، كما هو الحال عند بعض القادة والزعماء، الذين لا يعرفون قصدهم ولا غرضهم على وجه الحقيقة والتأكيد.

الميزة السادسة:

الميزة السادسة في دعوة الأنبياء هي (الزهد في الدنيا وإيثار الآخرة على الحياة الدنيا).. وهذه الميزة ملازمة لدعوة الأنبياء الكرام، فليس هدفهم الاستمتاع

---

(١) راجع: كتاب «النبوات» للإمام ابن تيمية رحمه الله.

(٢) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

(٣) الحديث أخرجه ابن ماجه في المقدمة؛ وأحمد في المسند ٤/١٢٦.

بزهرة الدنيا وزينة الحياة، لذلك فقد عاش كل الرسل الكرام في شظف من العيش، وفي شدة من الضيق، مع أنهم كانوا يستطيعون أن يتنعموا في الدنيا، وأن يعيشوا فيها عيشة العظماء.. ولكنهم آثروا الباقية على الفانية، لأنهم أيقنوا أن ﴿ما عندَ الله خيرٌ وأبقى﴾ وأن ﴿ما عندَ الله خيرٌ للأبرار﴾ لذلك فقد كانوا زاهدين في الدنيا، مقبلين على الآخرة.. وقد خاطب الله سيد الأنبياء بقوله:

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾[1].

وحين طلب أزواج رسول الله ﷺ من الرسول الكريم أن يوسِّع عليهن في النفقة وأن يزيد لهن في الرزق، ويعاملهن كبقية النساء اللواتي يعشن في رَغد من الدنيا، وفي بحبوحة من النعيم.. حين طلبن ذلك نزل التخيير لهن من السماء، وكان ذلك درساً لهن قاسياً في الحياة حيث أمر الله رسوله أن يُخيرهنَّ بقوله جلَّ وعلا:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[2].

ولقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: والله إني لأحبك، فقال: «انظر ماذا تقول؟» فكرر الرجل عليه الكلمة ثلاث مرات، فقال له الرسول الكريم: «إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافاً[3] فإن الفقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاه»[4].

---

(١) سورة طه: الآية (١٣١).
(٢) سورة الأحزاب: الآيتان (٢٨ ــ ٢٩).
(٣) تجفافاً: المراد به اللباس وأصله ما يلبسه الفرس ليتقي به الأذى.
(٤) رواه الترمذي في سننه رقم ٢٣٥٠، وقال: حديث حسن غريب.

يقول الشيخ (أبو الحسن الندوي) في كتابه «النبوة والأنبياء» ما نصه:

(ولم تكن دعوة الرسل إلى الآخرة، وإيثارها على الدنيا، والاستهانة بقيمتها ومتاعها، دعوة باللسان فقط، ودعوة لأمتهم فقط، بل كان ذلك مبدأ ومنهاجاً لحياتهم، وكانوا من أول المؤمنين بها، السائرين عليها في حياتهم، فكانوا زاهدين في الدنيا، مقبلين على الآخرة، قد زهدوا في المناصب الكبيرة والمراكز الخطيرة، وضحوا بها في سبيل دعوتهم...).

ثم قال حفظه الله:

(ومعيشة النبي ﷺ وحياته وحياة أهل بيته معروفة في التاريخ معروفة في السيرة النبوية، تثير العجب، وتسحر النفوس، وتملأ القلوب عظمة ومهابة، وتنصب للدعاة والسائرين على منهاج النبوة مناراً عالياً من نور، وكان شعارها الدائم: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة».

الميزة السابعة:

والميزة السابعة من مزايا دعوة الأنبياء هي: التركيز على عقيدة التوحيد، والتشديد في أمر الإيمان بالغيب.

وهذه من المزايا الواضحة، التي تظهر للعيان بكل جلاء ووضوح، في دعوة جميع الأنبياء، حيث إنهم جميعاً قد ركزوا جهودهم على تقرير (عقيدة التوحيد) وإثبات وحدانية الله، ووجود الصانع المدبر الحكيم، كما أنهم قد ركزوا على موضوع الإيمان بالغيب، فلا نكاد نجد نبياً من الأنبياء إلا وقد حذر قومه من خطر الوثنية والإشراك، ودعاهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له.. استمع إلى القرآن الكريم يحدثك عن الأنبياء الكرام نبياً نبياً.. وكيف كان التوحيد أساس دعوتهم، وغاية جهادهم، فتجده يقول عن (نوح) عليه السلام:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[1].

---

(١) سورة المؤمنون: الآية (٢٣).

وتجده يقول عن (هود) عليه السلام:

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾(1).

وتجده يقول عن (صالح) عليه السلام:

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾(2).

وهكذا يحدثنا القرآن الكريم عن جميع الأنبياء، أنهم قد دعوا إلى (التوحيد) أما إبراهيم الخليل صلوات الله عليه فقد كانت دعوته إلى التوحيد، ومحاربته للوثنية، أوضح وأصرح، حيث تجلى موقفه الصلب مع قومه في تسفيه عقولهم، وتسفيه ما يعبدونه من أصنام، حتى حكموا عليه بالتحريق في النار، ولكن الله تبارك وتعالى قد نجاه من كيدهم:

﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾(3).

وهكذا نرى المعركة تشتد بين الأنبياء وأقوامهم حول رسالة الحق ودعوة التوحيد، وتنتهي بانتصار الحق وتغلب الرسل، وهلاك المكذِّبين.. وصدق الله حيث يقول:

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾(4)..

---

(1) سورة هود: الآية (٥٠).

(2) سورة هود: الآية (٦١).

(3) سورة الأنبياء: الآيتان (٦٩ ــ ٧٠).

(4) سورة الصافات: الآيات (١٧١ ــ ١٧٣).

وما أروع هذه البشرى لعباد الله المرسلين ولدعـاة الحق إلى يوم الـدين حيث يقول جل ثناؤه:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ﴾[1].

* * *

(١) سورة غافر: الآيتان (٥١ ــ ٥٢).

صفات الأنبياء الكرام

اختار الله تباركت أسماؤه الأنبياء الكرام ليكونوا سفراء بينه وبين عباده، واصطفاهم من بين سائر الخلق ليحملوا الأمانة العظيمة «أمانة الوحي» وتبليغ الدعوة والرسالة لعباده.. وقد اقتضت حكمته العلية أن يجعلهم أكمل البشر خلقاً، وأفضلهم علماً، وأشرفهم نسباً، وأعظمهم أمانة، وأن يحفظهم بعنايته، ويكلأهم برعايته، ويربيهم على عينه تبارك وتعالى كما قال جل ثناؤه مخاطباً سيد الرسل الكرام:

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾(1).

وكما قال لموسى عليه السلام:

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾﴾(2)

وإذا تتبعنا القرآن الكريم، وقرأناه قراءة تدبر وتبصر، واستعرضنا آياته الكريمة التي تتحدث عن (النبوة والأنبياء) نجد فيها الذكر العاطر، والثناء المجيد، لهؤلاء الصفوة المختارة من عباد الله الصالحين الذين أكرمهم الله بالنبوة واصطفاهم لحمل الرسالة، واختارهم من بين سائر الخلق ليكونوا حملة مشعل (الهداية والإصلاح) وقادة ركب الإنسانية إلى طريق السعادة، وشاطىء الأمن والسلام.

---

(١) سورة الطور: الآية (٤٨).

(٢) سورة طه: الآية (٣٩).

نستعرض الكتاب المجيد، فتطالعنا صورٌ ونماذجُ لم يخلق الله أجمل منها في هـذا الكون.. ونـرى أسلوب القـرآن في الحـديث عنهم أسلوبـاً يتـدفق بـالحيـاة، ويفيض بـالبِشر، وينم عن الحب والإيثـار.. فيـذكـرهم بـالثنـاء العـاطـر، ويصفهم بأسمى الصفات والمـواهب العقلية والخلقيـة، كل ذلـك ليدل على أنهم (الصفـوة) المختـارة من خلق الله، و(المثل العليـا) الكاملة للبشـريـة.. اقـرأ إن شئت قـولـه تعالى:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[1].

واقرأ قوله تعالى عن إبراهيم الخليل عليه السلام:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾[2].

وقوله تعالى عنه:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[3].

واقرأ قوله عن الكليم موسى عليه السلام:

﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[4].

كما يذكر في موطن آخـر الثناء العـاطر على نبيـه وكليمه مـوسى عليه السـلام فنقول:

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٧٣).
(٢) سورة مريم: الآية (٤١).
(٣) سورة النحل: الآية (١٢١).
(٤) سورة الأعراف: الآية (١٤٤).

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝٥١ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾[1].

واقرأ قوله جل وعلا عن نبيه (إسماعيل بن إبراهيم) عليه السلام:

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾[2].

ثم استمع إلى ذلك الثناء والمديح العاطر، الذي وصف به القرآن الكريم جماعة من الأنبياء المكرمين حيث يقول:

﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ۝٤٧ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾[3].

وهكذا نجد القرآن العظيم حين يتحدث عن الأنبياء الكرام، يصفهم بأسمى الصفات العالية، وينعتهم بأكمل الأوصاف، وتظهر من خلال سطوره معالم الحب والتكريم، والاصطفاء والاجتباء، فيصفهم تارة بالطاعة والإنابة، وأخرى بالتضحية والإيثار، ويذكرهم في بعض المواطن بالصدق والنزاهة، كل ذلك ليشير إلى علو شأنهم، ورفعة مكانتهم، وسمو الرسالة التي بعثوا من أجلها، فكانوا هداة العالم، وقادة البشرية[4].

* * *

---

(١) سورة مريم: الآيتان (٥١ ــ ٥٢).

(٢) سورة مريم: الآيتان (٥٤ ــ ٥٥).

(٣) سورة صۤ: الآيات (٤٥ ــ ٤٨).

(٤) راجع: كتاب النبوة والأنبياء للأستاذ الندوي ص ٢٥ ــ ٣٠.

صفات الرسل الكرام

والأنبياء صلوات الله عليهم ــ وإن كانوا من البشر ــ يأكلون ويشربون، ويصحون ويمرضون، وينكحون النساء، ويمشون في الأسواق. وتعتريهم العوارض التي تمر على البشر من ضعف وشيخوخة وموت.. إلا أنهم يمتازون بخصائص، ويتصفون بأوصاف عظيمة جليلة، هي بالنسبة لهم من ألزم اللوازم ومن أهم الضروريات، وهذه الصفات نلخصها فيما يلي:

١ ــ الصدق.
٢ ــ الأمانة.
٣ ــ التبليغ.
٤ ــ الفطانة.
٥ ــ السلامة من العيوب المنفرة.
٦ ــ العصمة.

ولنشرح كل صفة من الصفات الواجبة للأنبياء الكرام صلوات الله عليهم بشيء من التفصيل فنقول وبالله التوفيق:

أولاً ــ الصدق:

وهذه الصفة ملازمة للنبوة، وهي وإن كانت ضرورية للبشر، إلا أنها بالنسبة لدعوة الأنبياء، صفة لازمة، بل هي من الصفات الفطرية فيهم، فلا يمكن للنبي ــ أيِّ نبي كان ــ أن يصدر منه ما يخل بالمروءة كالكذب والخيانة، وأكل أموال الناس بالباطل، وغيرها من الصفات القبيحة، لأن هذه الصفات لا تليق برجل عادي، فكيف بنبي مقرب أو رسول مكرم؟! ولو جاز وقوع الكذب من الأنبياء، لما أصبح هناك ثقة فيما ينقلونه من أخبار الوحي، أو يروونه عن الله عز وجل.. إذ يحتمل أن يكون ذلك من الأمور التي جاءوا بها من تلقاء أنفسهم، أو اخترعوها من بنات أفكارهم، ثم نسبوها إلى الله ــ وحاشاهم من ذلك ــ كذباً وزوراً، ولذلك

نجد القرآن الكريم، يحكم ذلك الحكم الفاصل، في حق كـل من يفتري على الله أو يكذب على لسانه، فيقول في حق سيد المرسلين:

﴿ولـو تقوَّل[1] علينـا بعضَ الأقاويـل. لأخذنـا منه بـاليمين. ثم لَقَطعْنـا منه الوتينَ[2]. فمَا منكُمْ من أحدٍ عنهُ حاجزينَ. وإنه لتذكرةٌ للمتقين﴾.

يقـول شهيد الإسـلام (سيد قـطب) عليه رحمـة الله في كتابـه ظلال القـرآن: «وفي النهاية يجيء ذلك التهديـد الرهيب، لمن يفتـري على الله في شأن العقيـدة، وهي الحدُّ الذي لا هوادة فيه، يجيء لتقرير الاحتمال الواحد الذي لا احتمال غيره، وهو صدق الرسول ﷺ، وأمانته فيمـا أبلغه إليهم أو يبلغـه. . ومفاد هـذا القول من الناحية التقريرية، أن محمداً ﷺ صادق فيما أبلغهم، وأنه لو تقول بعض الأقاويـل، التي لم يوح بها إليه لأخذه الله فقتله على هذا النحو الذي وصفته الآيات، ولما كان هذا لم يقـع فهو ﷺ لا بـد صادق. . » انتهى. ولقـد اشتهر الـرسول ﷺ منـذ الصغر بالصدق والأمـانة، حتى كـان المشركـون يسمونـه (الصادق الأمين) فيقـولون: جـاء الصادق الأمين، وذهب الصادق الأمين. . وهكذا كان النبـي الكريم قبل البعثة علماً بين قريش في صدقه وأمانته، وعلو مكانته.

روي أن رجلاً من سادة قريش لقي (أبا جهل) في أحد طرقات مكة، فاستوقفه ثم قـال له: يـا أبا الحكم ليس هنـا غيري وغيـرك، أنشدك بـالله هل محمـد صادق أم كاذب؟ فأجابه أبو جهل بكل صراحةَ: والله إن محمداً لصادقٌ، وما كـذب قط. . فقال: فما الذي يمنعكم من اتباعه؟ فقال لـه أبو جهـل: تنافسنـا نحن وبنو هـاشم، وتنازعنا الزعامة والفخر، أطعـموا فأطعمنا، وسقـوا فسقينا، وأجـاروا فأجـرنا، حتى كنا كفرسيْ رهان ــ أي استوينـا وإياهم في السبق والفخـر ــ ثم زادوا علينا فقـالوا:

---

(١) تقوَّل: أي افترى علينا الكذب تقولاً لأنه قول متكلف. والآيات من سورة الحاقة من (٤٤) إلى (٤٨).

(٢) الوتين: عرق متصل بالقلب إذا قطع مات صاحبه.

بعث منا نبـي فمن أين نأتيهم بنبـي؟ والله لا نؤمن بـه ولا نتبعه، وفي هـذا أنزل الله جل ثناؤه تسلية لنبيه ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولـون فإنهم لا يكـذبونـك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾[1].

فهذا هو عدو الله يقر ويعتـرف بصدق الـرسول، ولكن يمنعـه من اتباعـه حب الزعامة والرئاسة، وصدق من قال: «والفضل ما شهدت به الأعداء».

وحين سأل (هرقل) ملكُ الروم أبا سفيان بن حـرب ـ قبل إسـلامه ـ عن أمـر محمـد ﷺ وكان السؤال: هـل كنتم تتهمونـه بالكـذب قبل أن يقـول مـا قـال؟ قـال أبو سفيان: ما عرفنا عليه كذباً قط!! فأجابه هرقل بجواب رائع هو قوله: «ما كان ليذر الكـذب على الناس ويكـذب على الله»[2] وهذا لعَمـر الحق هو المنـطق السـديـد، والقول الفصل.

ثانياً ـ الأمانة:

وهي أن يكون النبـي أميناً على الـوحي، يبلـغ أوامر الله ونـواهيه إلى عبـاده، دون زيـادة أو نقص، ودون تحـريف أو تبـديـل، امتثـالاً لقـول الله تبـارك وتعـالى: ﴿الـذين يبلِّغـونَ رِسَـالاَتِ اللَّهِ ويخْشَـونـه ولا يَخْشَـون أَحَـدَاً إلاَّ اللَّهَ، وكَفَى بـاللَّهِ حَسِيباً﴾[3].

فـالأنبياء جميعـاً مؤتمنون على الـوحي، يبلغون أوامـر الله كما نـزلت عليهم، لا يمكن لهم أن يخونوا، أو يخفوا ما أمـرهم الله تعالى بـه. لأن الخيانـة تتنافى مـع الأمانة، وهل يليق بالنبـي أن يخون أمانته، فلا ينصـح الأمة، ولا يبلـغ رسالة الله؟!

---

(١) انظر: السير النبويةلابن هشام، والآية من سورة الأنعام رقم ٣٣.
(٢) هذا طرف من حديث أخرجـه البخاري في كتاب بدء الوحي، وانـظر: تمام الحـديث في عمدة القاري على شرح البخاري للعيني ١/٧٧.
(٣) سورة الأحزاب: الآية (٣٩).

فالأنبياء الكرام كلهم قد أدوا الأمانة على الوجه الأكمل، وكل نبـي كان يقول لقومه:

﴿إني لكم ناصحٌ أمين﴾.

وفي ذلك يقول الله جل ثناؤه:

﴿وما هو على الغيب بضنين﴾.

أي ليس بمتهم على الـوحي والغيب. ولو لم تكن في الأنبيـاء الأمانـة لتغيرت مظاهر الرسالـة وتبدلت، ولمـا اطمأن الإنسـان على الوحي المنـزل.. ولهذا تقـول السيدة عائشة رضي الله عنها: «لو كان محمـد كاتمـاً شيئاً ممـا نزل عليـه لكتم هذه الآية الكريمة:

﴿وتُخْفِي في نَفْسِك ما الله مُبْديهِ، وَتَخْشَى النَاسَ واللّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ﴾[1].

ولكتم أيضاً الآيات التي فيها عتاب له ﷺ مثل قوله تعالى:

﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾.

وقوله تعالى:

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2].

فلا بد من توفر صفة (الأمانة) في كل نبـي ورسول، لتظل النفس مطمئنة إلى سلامة الـوحي، وإلى أن كل مـا جاء بـه النبـيُّ إنما هـو من عند الله العـزيز الحكيم وصدق الله حيث يقول:

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في التفسير برقم ٣٢٠٦، وقال: هـذا حديث حسن صحيـح؛ ورواه مسلم برقم ١٧٧ في الإيمان، وانظر جامـع الأصول ٢/٣٠٨.

(٢) سورة الأنفال: الآيتان (٦٧ ـ ٦٨).

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1].

ثالثاً ــ التبليغ:

وهذه الصفة خاصة بالرسل الكرام صلوات الله عليهم، ويُقصد بها أن يبلغ الرسلُ أحكامَ الله، ويبلغوا الوحي الذي نزل عليهم من السماء، فلا يكتموا شيئاً مما أوحاه الله تعالى إليهم، حتى ولو كان في تبليغه للناس إيذاء عظيم لهم، أو شر مستطير يلحقهم من الأشرار والفجار، وقد قال القرآن الكريم في قصة (نوح) عليه السلام:

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦١ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

وقال عن (صالح) عليه السلام:

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[3].

وقال في (شعيب) عليه السلام:

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾[4].

وهكذا نجد جميع الرسل يعلنون بكل صراحة ووضوح أنهم قد بلغوا رساله

---

(١) سورة النجم: الآيتان (٣ ــ ٤).
(٢) سورة الأعراف: الآيتان (٦١ ــ ٦٢).
(٣) سورة الأعراف: الآية (٧٩).
(٤) سورة الأعراف: الآية (٩٣).

الله، ونصحوا للأمة، حتى خاتم الرسل (محمد) صلوات الله عليه يأمره ربه بتبليغ الرسالة فيقول مخاطباً له:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾(١).

فكل رسول مكلف بتبليغ الدعوة والرسالة، ولا يمكن لأحد من الرسل أن يزيد حرفاً أو ينقص حرفاً مما نزل عليه، لأنه يكون قد خالف أمر الله، وخان الأمانة التي عهدت إليه... ولهذا نجد بعض السور أو الآيات الكريمة تبدأ بقوله تعالى: ﴿قل﴾ وهو أمر موجه للنبي عليه الصلاة والسلام ليبلغه لأمته، فيبلغها الرسول كما نزلت عليه دون زيادة أو نقص، اقرأ مثلاً قوله تعالى:

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي.. ﴾(٢).

وقوله تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾(٣).

وقوله تعالى:

﴿قلْ أعوذُ بربّ الفلق﴾ وقوله تعالى: ﴿قلْ أعوذُ بربّ النّاس﴾ وقد كان يكفي الرسول أن يبلغ الأوامر الإلّهية دون تلك اللفظة التي خوطب بها، ولكنه أمين على الوحي يبلغ رسالة ربه بالحرف الواحد دون تغيير أو تبديل، أو زيادة أو نقصان، فلم يقل (هذه سبيلي أدعو إلى الله) ولم يقل (أعوذ برب الفلق) أو (أعوذ برب الناس) وإنما ذكر الأمر الذي توجه إليه من العلي القدير، بنفس الصيغة ونفس الحروف، وذلك دليل الأمانة القصوى في تبليغ الدعوة والرسالة.

---

(١) سورة المائدة: الآية (٦٧).

(٢) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

(٣) سورة الكافرون: الآيتان (١ ـ ٢).

والغرض من (التبليغ) أن يقطع الله الحجة على الناس، ولئلا يبقى لأحد عذر يوم القيامة، فإن الله تبارك وتعالى أكرم من أن يعذب إنساناً قبل أن تبلغه الرسالة وأرحم من أن يعذبه بدون ذنب كما قال تعالى:

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾(١).

وكما قال جل ثناؤه:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾(٢).

وقد بعث الله جل ثناؤه خاتم المرسلين ليكون للعالمين نذيراً، وأرسله على فترة من الرسل ليقطع على أهل الكتاب (اليهود والنصارى) معاذيرهم لئلا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، وقد ذكر تبارك وتعالى ذلك في كتابه العزيز فقال وهو أصدق القائلين:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٣).

وقد بلَّغ الرسول الكريم دعوة ربه، فحين نزل عليه قول العلي الكبير:

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾(٤).

جهر الرسول بالدعوة، وقام بتبليغ الرسالة، فصعد على جبل الصفا ثم جعل ينادي القبائل وبطون قريش: «يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني كعب..»،

---

(١) سورة الإسراء: الآية (١٥).

(٢) سورة القصص: الآية (٥٩).

(٣) سورة المائدة: الآية (١٩).

(٤) سورة الحجر: الآية (٩٤).

حتى اجتمعوا إليه فقال لهم الرسول الكريم: «أرأيتم لو أني أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل، تريد أن تغير عليكم هل كنتم مصدقي؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك كذباً قط!! فقال لهم عليه الصلاة والسلام: فإني لكم نذير بين يدي عذاب شديد.. فقال له عمه (أبو لهب): تباً لك يا محمد ألهذا جمعتنا، فأنزل الله رداً عليه:

﴿تبّت يدا أبي لهبٍ وتبَّ...﴾ الآيات(1).

رابعاً ــ الفطانة:

وهي الذكاء والنباهة، فلم يبعث أحد من الأنبياء إلا وكان على جانب عظيم من النباهة، والذكاء الخارق، مع كمال العقل والرشد، استمع إلى قوله تبارك وتعالى في وصف الخليل إبراهيم عليه السلام:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾(2).

وانظر إليه في موقف المحاجة لقومه المشركين تجد فيه آيات النبوغ والذكاء:

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(3).

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام، ونور اليقين للخضري.

(2) سورة الأنبياء: الآية (٥١).

(3) سورة الأنبياء: الآيات (٥٨ ــ ٦٧).

وحقاً إنه لمنتهى الذكاء والنبوغ، يتجلى في عمل إبراهيم عليه السلام فلقد حطم بيده الأصنام، ثم علق القدوم في عنق أكبر الأصنام ليقيم الحجة على قومه.. فحين قدموه للمحاكمة سألوه هذا السؤال: من الذي حطم آلهتنا وأقدم على تكسير الأصنام؟ هل أنت الذي فعلت ذلك يا إبراهيم؟ فأجابهم إبراهيم عليه السلام: إنني لم أحطمها، ولكن الصنم الكبير والمعبود العظيم هو الذي حطمها لأنه لم يرض أن تعبد معه، والدليل على ذلك أنه وضع القدوم في عنقه، وإذا لم تصدقوا كلامي فاسألوهم عن ذلك الأمر وسلوه.. وهنا كان قد بلغ إبراهيم إلى هدفه، فأقام عليهم الحجة بعد أن سفّه عقولهم، وجعلهم يضحكون من أنفسهم، وهكذا يكون منطق الأنبياء.

وانظر إليه في موقف آخر وهو يجادل الطاغية (نمروذ) الذي نازع الله في ملكه، وزعم أنه إله يعبد من دون الله، وأنه الرب المعبود، كيف كان نبوغ إبراهيم وذكاؤه؟ وكيف دَحَض خصمه العنيد، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[1].

إنَّها الحجة الدامغة، التي تقصم ظهر الباطل، فتجعله صريعاً أمام نور الحقِّ المبين.

وهكذا جميع الأنبياء والرسل، أعطاهم الله العقل والرشد، فكانوا على أكمل وجوه الذكاء والنبوغ، فقد خصهم الله تعالى بالذكاء الخارق، والفطنة والنباهة، ليستطيعوا إقامة الحجة على أقوامهم، وقد جرت حكمة الله الأزلية، أن يختار للرسالة أكمل الناس عقلاً، وأوفرهم ذكاء، وأقواهم حجة وبرهاناً، ليظهر ضياء الحق، وتعلو دعوة الله، وصدق الله حيث يقول:

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٥٨).

﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴾[1].

وإذا كان البشر يعتريهم النقص، وتضعف قواهم العقلية، وربما وصل البعض منهم إلى حالة (الخرف) عند بلوغ سن الشيخوخة.. فإن الأنبياء الكرام يظلون في القمة العليا من رجاحة العقل، وقوة التفكير، مهما امتدت أعمارهم لأن الله تعالى قد أحاطهم بعنايته، وحفظهم برعايته، ولا يمكن أن تضعف حواسُّهم الفكرية وتتعطل مواهبهم العقلية، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، واللَّهُ ذو الفضل العظيم.

خامساً ـ السلامة من العيوب المنفّرة:

وهذه الصفة من خصائص الأنبياء الكرام، فإنه لا يمكن أن تكون فيهم عيوب خَلْقِيَة أو خُلُقية، تنفر الناس من الاجتماع بهم، أو اتباعهم والسماع لدعوتهم كما أن الأمراض المنفرة كالبرص والجذام، والتشويه الجسدي لا يكون في أحد من الأنبياء، فهم وإن كانوا من البشر، تصيبهم العوارض التي تصيب البشر، إلا أن الله عز وجل قد صانهم من العيوب المنفرة، وسلمهم من الأمراض الشائنة، التي تجعل النفوس تنفر منهم، وما روي عن (أيوب) عليه السلام من أنه مرض واشتد به المرض حتى تعفن جسده وأصبح الدود يخرج من بدنه، حتى كرهته زوجته، فإن هذا من الأباطيل والأكاذيب التي نقلت عن (الإسرائيليات) ولا يصح تصديقها أو الاعتقاد بها، لأنها تتنافى مع صفات الأنبياء، والقرآن الكريم لم يذكر لنا شيئاً من هذا، وإنما الذي ذكره أنه قد أصابه الضر في بدنه فدعا ربه ـ بعد أن اشتد به الكرب والضر ـ فكشف الله عنه ما أصابه من كرب وبلاء، قال تعالى:

﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٢٤).

لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾[1].

وظاهر من الآية الكريمة أن الضر الذي أصابه كان في جسمه وأهله، وهذا النوع من الضر يلحق البشر ويلحق الأنبياء، فإن المرض يعتري الأنبياء كما يعتريهم الموت، وليس في ذلك شيء ينقص من قدرهم، أو يزري بمقامهم.

سادساً ــ العصمة:

وسنفرد لها بحثاً خاصاً إن شاء الله لأهميتها، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

● ● ●

(١) سورة الأنبياء: الآيتان (٨٣ ــ ٨٤).